شاعر قروي : صناجة العرب !

بقلم الدكتور عبد العزيز عتيق

— ١ —

شاعر رأت فيه الامة نموذجا باهرا لمثلها الاعلى في أبنائها ، فاطمأنت اليه ، وأدنته من قلبها ، وأفضت اليه بكل ما يعتمل في ضميرها ، ويحز في نفسها .

ولم يكد يعي وحيها ، ويدرك جلاله وخطره وثقله ، حتى انطلق يبلغها رسالة من الشعر ، رسالة تتفجر باللهب مشاعل في قلب الظلام المفروض على الامة من داخلها وخارجها . فاذا طريق البطولات قد استبانت معالمها وصواها أمام الابطال فولجوها ، واذا الخفافيش المنطلقة في الظلام قد كشفها وهج اللهب للعيون ، فوقفت معشية حائرة !

ذلك الشاعر الذي اتخذ من العروبة رسالة العمر ومجد الحياة ، هو شاعرنا العظيم رشيد سليم الخوري .

وذكرانا لهذا الاسم الخالد تقفنا امام شاعر بكل أبعاد هذه الكلمة ، وأمام شاعر تجسدت فيه أسمى معاني العروبة ، ثم أمام قصة من قصص الوفاء والولاء ، والبذل والفداء ، والبطولة والالمعية .

وهل أقول : عجيب أمر شاعرنا القروي ، فيما خلق وأبدع في شتى فنون الشعر ومجالاته ، وفيما أبلى في سبيل وطنه وقوميته ؟ ولكن لماذا يكون عجيبا ؟ أو ليس الرجل ينتمي الى خير أمة أخرجت للناس ؟ والى وطن كان، ولا يزال مهد الاعاجيب والمعجزات ؟

ناداه المجهول بصوته الخفي الساحر ، أو قل دفعه المعلوم من واقع حياته ووطنه وأمته وقتئذ ، فلبى نداء المجهول ، واذا به يهاجر قبيل الحرب العالمية الاولى الى البرازيل ، وهو في ريعان الشباب وعنفوانه ، وعلى التحديد في السادسة والعشرين من عمره !

ولكن كيف ودع لبنان قبيل الرحيل ؟

كان الوداع شاعريا حقا ، وأقل ما يوصف به انه لا يمكن ان يجول الا بخاطر شاعر فنان مثله . وعن ذلك الوداع يحدثنا هو بقوله :

« اصطنعت سلما ، واعددت في عب صنوبرة منفردة عن غابتها فراشا علقت حوليه عودي وقنديلي . كنت أروح اليه كل مساء . أعزف ساعة ، وأطالع ساعة أخرى ، ثم أنام حتى توقظني العصافير في مطلع الفجر ، فاهبط لارتمي في حضن صعيد طيب ، أقلب عليه جسدي تقليبا ، واشم حصاه وترابه ، وأبل قلبي الهيمان بمقدار كاس من الندى ، أترضبه من شفاه أعشابه ، وأترحقه من عيون أزاهيره .

« ثم اعدو ساعة في منحدرات جبلية ، تنحدر بي الى جدول أتبرد بذوب لجينه ، ثم أعود الهوينى مجيلا طرفي بين بر لبنان وبحره وسمائه مالئا جوانحي من نسيمات أسحاره ، ومتمونا من مناظره الساحرة أفلاما أذخرها في صدري ، لاتعزى بعرضها على مخيلتي ، كلما خيم الحزن على مضجعي في ليالي غربتي الموحشة » .

فأي وداع أجمل من هذا الوداع ؟ وأي تعلق بالوطن اقوى من هذا التعلق ؟ وأي زاد للنازح عن داره أشهى

واطيب من هذا الزاد ؟ ثم اي رفيق يأنس به في ليالي غربته الموحشة خير من هذه الذكريات السعيدة المبهجة ؟

ثم ... ثم هاجر كما هاجر غيره ...

ومن المهاجرين من بعد قلبه عن أمته فنسيها أو كاد ، أما هو فظل موصول القلب بأمته يعيش أحداثها ومعاركها. ومن المهاجرين من قال الشعر وترنم به ، ولكن أحدا منهم لم يبلغ مبلغه في شعر الوطنية والقومية .

وليس معنى ذلك أن شاعريته قد وقفت عند هذا اللون من الشعر ، فالواقع ان ديوانه الكبير الضخم معرض حافل للخلق والابداع في شتى الفنون والاغراض ، ولكن اللون الغالب على شعره ، هو الشعر الحماسي القومي . ولهذا استحق ان يدعى بحق صناجة العرب في العصر الحديث ، وذلك لكثرة ما وقع على قيثارته بأفراحهم وأحزانهم ، وآمالهم وآلامهم ..

ويحدثنا عن سر غلبة الحماسة على شعره فيقول :

« ما كدت أنهض بقادمتي حتى صكت مسمعي انات أمتي ، ولفحت وجهي زفراتها ، فطويت جناحي عند سريرها ، مخضعا خيالي لواقعها الاليم ، مقدما واجب تمريضها على التغريد بين الخمائل ، والتنقير بين الجداول ...

« لقد سلب اللصوص نصيب امتي من خبز الحرية والعدالة والحق ، وغادروها في وطاء الذل ، مدنفة تدميها القيود . والحرية والعدالة والحق أسمى المعقولات التي ينشدها الانسان الراقي بل اغلى الجواهر المشعة من صدر الرحمن ، لا يحيا قلب بشري نبيل الا بقطر نداها ، ولا يمكن ان يتصور خير ولا جمال ولا سعادة في هذا الوجود الا بانعكاس نورها ..

« وما الشاعر الوطني الحمي في امة مستعبدة الا الشاعر الانساني قبل اي شاعر سواه ، لان هذه المبادىء التي يسبح لها ، ويصلي في محرابها ، ويجاهد في سبيلها ليست معبودة وطنه فحسب ، بل معبودة الاوطان جميعا ... »

— ٢ —

وفي البرازيل اقام اولا في مدينة « مريانا » مع عمه الذي كان قد سبقه الى المهجر بزمن طويل ، ولكن سرعان ما ضاق ذرعا بناعم العيش معه ، فحمل « كشة » الاقمشة على كتفيه ، وخرج في طلب الرزق يجوب المدن والقرى والدساكر ببضاعته ، متعرضا لاقسى مشقات الحر والسيول الطامية ، وهو يغني « العتابا » في غابات البرازيل المخيفة .

وعندما نشبت الحرب العالمية الاولى كان قد سئم المقام في « مريانا » التي اشتهرت — كما يقول — بسوادها المثلث : رهبانها وغربانها وعبدانها . ومن ثم حمل عوده وثيابه ورحل الى « ريو دي جنيرو » وكل ما يملك من حطام الدنيا لا يتجاوز عشرين ليرة ، بيد ان اقامته في هذه المدينة لم تطل اكثر من عام ، رحل بعده الى مدينة « صنبول » . وهناك اشتغل اول الامر بالتعليم في بعض المدارس والبيوت ، ثم اشتغل بالتجارة التي لم يرزق فيها نجاحا ملحوظا ، لمبالغته — كما يقول — في احسان الظن ببعض عملائه ، وانشغاله بالمصالح العامة عن مصلحته .

وكانت « صنبول » حين بلغها مزدانة ببعض نجوم الادب العربي بين كاتب وخطيب ولغوي ، ولكنها كانت تفتقر الى الشاعر فقنعت به .

وكانت الصحف والجمعيات والاندية العربية آخذة في الازدياد آنئذ ، فشرعت الحفلات الادبية والوطنية والخيرية تقوم على قدم وساق ، وكلها تحتاج الى القصيدة والانشودة فتجدهما على اسلة لسانه ووتر عوده .

ثم كان عهد الانتداب ، وافتضاح وعد بلفور ، وغليان الخواطر وشبوب الثورات في العالم العربي ، فقويت الحركة الفكرية ، وانشطر كتاب المهجر — كما يقول — الى احتلاليين واستقلاليين ، ومرتزقة مذبذبين .

عندئذ مست حاجة الجالية الى شاعر ينشدها الحان الحرية ، ويمجد البطولة ، ويذكي الحماسة ، ويحض على الجهاد والغوث ، فأصغى الى صوت الهاتف ، وانبرى لتأدية الرسالة مهتبلا كل سانحة ، ملبيا كل دعوة ، لا يبغي اجرا ولا شكورا ، بل مذيبا قلبه ودماغه وصحته ورزقه ، في سبيل هذا الواجب الوطني .

وما اكثر ما انقطع عن العمل مضحيا بأجره ، ومنفقا من جيبه لينظم القصيدة يلقيها ، والاناشيد يلحنها ، ويمرن الجوقة على انشادها !

حتى اذا انتهت الحفلة بعد منتصف الليل ، وبعد ان يكون قد اقام الحفل وأقعده تحمسا وهتافا وحملا على الاكتاف ، يخرج والعرق يبلل ثوبه الى الرياح والبرد والمطر ، لا يجد عربة تقله الى بيته .

ويذكر الشاعر انه ما دعي الى الكلام في موضوع الا وسخره للغرض الوطني الذي استبد بمشاعره ، او فاجأ الحفل بموضوع من عنده للغرض ذاته .

— ٣ —

ولا شك ان ذلك كله كان من جانبه تهيأ للرسالة ، وارهاصا بالدور الذي ندبته الامة لادائه : دور الداعية للبعث العربي ، واستقلال الوطن العربي ، ووحدته ونهضته .

وهو في كل ذلك يصدر عن عقيدة من وعي تاريخ أمته وأمجادها ودورها الحضاري الذي ادته ، والذي لا تزال تستطيع ان تؤديه لعالم بائس مضطرب ، كما يصدر عن شعور وطني صادق ، ومقياس دقيق للوطنية .

ويحرص الشاعر نفسه على تعريفنا بشعوره ومقياسه للوطنية ، فيقول عن شعوره الوطني :

« امتي انا مكثرا ، ووطني انا مكبرا ...

« اذا اقتطع ذئاب الغرب منه قطعة ، فكأنما اكلوا جارحة من جوارحي واذا هدروا عربيا في لبنان او تطوان ، فكأنما شربوا نقبة من دمي ...

« وكان كل باد قوي من بلادي ساعدي مفتولا ، وكل شعب خامل فيها زندي مشلولا ، بل ما أعد ذاتي الا خلية في جسد أمتي .

« انا واحد من سبعين مليونا من العرب ، كل واحد منهم انا ، فينبغي ان أحبهم سبعين مليون مرة ، ومن خانهم فكأنما قتلني مثلها ...

« ولذا تراني أصب جام غضبي على الظالمين ، وصنائع الظالمين ، والصابرين على الظلم ، بعنف من يدرأ الموت والعار ، لا عن نفسه فحسب ، بل عن سبعين مليون نفس كنفسه محشودة فيه ، شاغلة عالم الارض من لا نهائية روحه » .

اما عن مقياس الوطنية عنده فيحدثنا بقوله :

« للمحبة الوطنية ميزان حراري هو حب المرء نفسه . اذا أهانك جارك الخباز رحت تشتري الخبز من فرن بعيد ، لانك تقدم كرامتك على راحة قدميك ...

« واذا اعتللت استدعيت الطبيب ، لان صحتك اعز من جني يديك.

صدر اليوم :

الثورة والجماهير

مراحل النضال العربي

١٩٤٨ — ١٩٦١

ودور الحركة الثورية

تاليف ناجي علوش

دار الطليعة بيروت ص.ب ١٨١٣

واذا سطا اللئام على دارك استقبلت الموت بصدرك ، لان عرضك أغلى من النسمة التي بين جنبيك ...

« وقد انزل الاعداء كل هذه الضربات جميعا على أشدها بوطنك . فالى أي مدى بلغت غيرتك عليه بالنسبة الى غيرتك على نفسك ؟ قس تعلم رتبتك في جدول المجاهدين ، وتكتشف درجة حرارتك في ميزان الوطنية ... »

بهذه المفاهيم الثورية ، نرى أنفسنا امام شاعر عربي يدعو في أدبه الى القوة والعزة والكرامة ، بمقدار ما يمقت الضعف والذلة والاستخذاء .

واذا عدنا الى شعره الحماسي وجدناه انعكاسا صادقا لهذه النظرات والمفاهيم ، شعرا فوارا بحرارة الايمان والعقيدة ، زاخرا منطلقا بكل المعاني والطاقات الحبيسة في نفس امته ، شعرا تعددت اوتاره ، وتنوعت نغماته تبعا للموحيات من المواقف والاحداث .

وفي هذا كله قل ان نجد له كفؤا او نظيرا بين شعراء المهجر او غيرهم من شعراء العربية . اجل ، قل ان نجد شاعرا آخر قد اتخذ العروبة قرآنه وانجيله ، فانطلق يبشر بها ويدعو لها على انها واقع تاريخي ومضمون انساني ، في عصر بلغت فيه ضراوة الاستعمار وشدة وطأته وسيطرته على دنيا العرب حدا يجعل من مثل هذه الدعوة ضربا من الخيال والاحلام .

وتقرأ هذا الشعر الذي صيغ من نور اليقين ، وامجاد اربعة عشر قرنا ، فاذا انت امام شاعر عربي قد امتلأ بقضية العروبة حتى جرت في عروقه مجرى الدم ، واستحوذت على قلبه وعقله ومشاعره ، صاحيا ونائما ، ظاعنا ومقيما .

ثم توغل في قراءة هذا الشعر فاذا أنت مرة اخرى امام شاعر يعيش بجسمه بعيدا عن وطنه ، بينما هو يقيم فيه بروحه : يفرح لكل ما يفرح العرب ، ويأسى غاية الاسى لكل ما يصيبهم ، ويثور اشد الثورة اذا اعتدى عليهم احد ، ويتفجر بالغضب واللهب اذا رأى من بني قومه ضعفا وانحرافا ، او سلوكا يتنافى مع الخلق العربي ، والشهامة العربية .

ولست أزعم القدرة على الالمام هنا بجميع ابعاد قضية الوطنية والقومية والعروبة عند شاعرنا القروي ، فهذا ما لا سبيل اليه ، ولكني هنا اجتزىء بالقليل عن الكثير ، وبالبعض دلالة على الكل .

وهذا البعض الذي يدل على الكل يتمثل في موقفه من الاستعمار ، وفي امتلائه بفكرة العروبة ، جامعة العرب الكبرى وملاذهم ، وطريقهم الذي لا طريق غيره الى الوحدة الشاملة المنشودة لخيرهم وتقدمهم .

اما موقف القروي من الاستعمار فموقف صريح واضح . انه موقف العالم بجرائمه وآثامه ، لؤمه وغدره . وهو كذلك موقف من يدرك انه سر التخلف والضعف ، والجهل والفقر في الامم التي نكبت به ، وسبب كل ما مني ويمنى به العالم من شقاء وويلات ، ثم هو موقف من يؤمن بأن خلاص البشرية مرهون بالقضاء عليه قضاء مبرما .

ومن ثم نرى شاعرنا يتصدى للاستعمار بشجاعة ، وينازله في عرينه بلا خوف ، ضاربا بذلك المثل لبني قومه في الجرأة على قوى الاحتلال الغاشمة والزحف لملاقاة هذا الاخطبوط الشرير ، وتخليص الوطن من آثامه .

وهو في معركته مع الاستعمار يحارب في جبهات مختلفة تلتقي جميعها عند هدف واحد . وما ذلك الهدف

ـ التتمة على الصفحة ٦٥ ـ

على الشاطئ

* * *

ـ أليس في عيني من سواد ؟
أليس في العالم ثم نور ؟
معذرة ، فلم أعد أرى .. !

الشمس لاجئة الى الغرب المضرج بالدماء
مصفرة القسمات عطشى جائعه
مرت على أرض السنابل والحقول الضائعه
وعيون شيلوك اللعينة أفزعتها في السماء

شيلوك أنت سرقت من عيني السواد
وسرقت من قلمي المداد
وسرقت من «فرحانة» الحسناء صاحبها «جواد»

ـ بكم تبيع درهم الهواء ؟
وقشرة من برتقال أرضنا ؟
بساعدي ؟ وقيتين من دمي ؟

البحر مستلق وراء الشط مشلول الحراك
وكأنه وهو القتيل يصعد الزبد الاخير
يا ليلة شهدت سفائننا تخور وتستدير
والريح تعول .. أين كنت من العراك ؟

شيلوك دائنك الاخس أنا ، وقاضينا الدماء
وشهودنا البرية الخرساء والسهل العراء
والوقت بعد غد ، صباحا أو مساء

ـ أبيع يا شيلوك مثلما شريت
لانها بضاعة تلوث القلوب
أردها ، أردها .. وبعدها أعيش .

غزة فلسطين

ناهض الريس

الشاعر القروي: صناجة العرب

ـ تتمة المنشور على الصفحة ١٣ ـ

الا اثارة العرب على الاستماتة في طلب الحرية والاستقلال، وعلى مضاعفة الجهد في التخلص من الاستعمار الذي يقف حجر عثرة في طريق وحدتهم ونهضتهم .

واذا كان منطق الاستعمار يقضي بأن العبودية وسيلة الرقي ، والرقي وسيلة الى الاستقلال فان الشاعر يحذر قومه من هذا المنطق الفاسد الخبيث ويعمق في نفوسهم منطقا آخر ، منطقا يقضي بأن « الحرية مرحلة بين العبوديه والمجد ، وبأن الاستقلال غاية بالنسبة الى الرق . ووسيلة بالنسبة الى الرقي المنشود » .

يخطر له مرة فيتجه بالقول الى اولئك الذين يريدون ان يظلوا صغارا وان كانوا كبارا ، فيخاطبهم في تهكم أشد من وخز الابر . لعلهم يفيقون فيعتمدوا على الله وعلى أنفسهم . وللشاعر في هذا الباب حصيلة ضخمة أكتفي منها هنا بمثالين ، يقول في الاول منهما :

أسلمت للأم « الحنون » فقل لنا ... أوجدتها خيرا من الاسلام ؟
يمشي الغريب الى خوانك ساخرا ... ويثوب بالاجلال والاكرام
كرم الخلال جنى على ارباب ... يا ليت اهل الشام غير كرام
انا ما رأيت فضيلة مكروهة ... كتواضع الاعراب للاعجام

وفي المثال الثاني ، وكأني بالشاعر ينكر فيه ان يحمل هؤلاء الزمن وزرَ هوانهم وذلهم فيقول :

وكيف الوم في وطني الزمانا ... ومنا ذله لا من سوانا ؟
ألسنا قد أهناه .. فهانا ... وقلنا : كن فرنسيا .. فكانا؟
اذن فليهننا نيل المراد ..!

ويخطر له مرة اخرى فينطلق الى جبهة صنائع الاستعمار فيحمل عليهم حملات شعواء ، حملات يكشف فيها عن تبعيتهم ، واعانتهم المستعمر على قومهم ومستقبل اوطانهم دون خجل او ندم او وخز من تأنيب الضمير .

هذا واحد من هؤلاء يتباهى بأنه وقف نفسه على خدمة الاستعمار ، ويزعم في الوقت ذاته انه غير مأجور، فيصيح الشاعر في وجهه محقرا :

يا نافيا عن نفسه أجرةً ... مثلك لا يعطى له أجرُ ...!
وكيف يُشري تاجر سلعة ... من رُخصها ليس لها سعر؟
يا نصف أمين .. يا أعبدا ... الا بذلٍّ ... ما لهم ذكر
مهما كثرتم مالكم قيمة ... مليونُ صفر قدرُها صفر
عصرُ ظلام دامس عصركم ... والعصر ، قد يخلفه العصر
فليحتفل خفاشكم بالدجى ... لا بدَ ... ان ينبلج الفجر

وهذا احد الصحفيين الذين قضوا العمر في ركاب الاستعمار يهان من استعماري في حفل عام ، فيقبل الاهانة دون ان يغضب لكرامته كانسان .

ويشهد الشاعر هذا الموقف المزري فيصوره في حكاية صب فيها جام سخطه على هذا الدعي وامثاله ممن فقدوا اباء العربي وشهامته ، وتردوا في حضيض الذل والهوان . وهذه حكاية الحال على لسان الشاعر :

جاد العزيز على الذليل بصفعة ... تركت بصحن الخد طابعَ خمسهِ
ومضى العزيز يحك راحة كفه ... ومضى الذليل يحك جلدة رأسه
فظننته احتمل الهوان لحكمة ... حتى يعود بسيفه ... وبترسه
ولبثت انتظر الجبان لكي ارى ... من بعد حكمته طلائع بأسه
حتى عثرت به الغداة كأنه ... نسي الذي قد ذاقه في أمسه
فسألت عنه ، فقيل : هذا من سعى ... ليحكمَ الجنس الغريب بجنسه
فأجبت : لا عجبٌ اذن لهوانه ... ولكنت اعجب لو سمعت بعكسه
من كان يرضى بالهوان لشعبه ... لا بدع ان يرضى الهوان لنفسه!

ويخطر للشاعر مرة ثالثة فيخف الى قلعه وعود المستعمر التي يخدر بها ارادة الشعوب ، فيمطرها وابلا من قذائفه المدمرة ، ثم يلتفت الى بني قومه يهيب بهم ان يمضوا الى الامام في كفاحهم طلبا للحياة الحرة ، مذكرا اياهم بأمجادهم السالفة ، وذلك اذ يقول :

لامر يلاقيك الفرنجيُّ باسما ... فزدْ حذرا ما زاد ذئب تودددا
تراه صحيح الود ، وهو سقيمه ... كما تُكسب الحُمَّى الوجوهَ تورددا
لئن وعدونا بالجلاء عن الحمى ... لقد ضربوا يوم القيامة موعدا
ارى الناس قد عافوا السجود لربهم ... فمالي أراكم للصعاليك سُجَّدا ؟
فوالله ان لم تنتضوها عزيمةً ... قد اغتلفت في الغمد غمدا من الصدا
ولم تلهبوا صدر السماء بعاصف .. من الجمر يكسو بالعقيق الزمردا
يذيب جبال الثلج بين ضلوعكم ... ويمرجها بحرا من النار مزبدا
وان لم تغيروا بالعاول غارة ... تهدم هذا الباستيل الممردا
وتفتصبوا استقلالكم ، وتحطموا ... رتاجا على عذراء لبنان موصدا
فموتوا .. الا موتوا، فما الموت سُبة ... وان الردى في العار، لا العار في الردى!
وخيرٌ لهذا الكون من الف أمة ... ارقاءَ .. حرٌّ يملأ الكون مفردا

ثم يعود الشاعر فيطامن من حدته ، ويعزف في حب لقومه انغاما من الماضي المجيد تذكي من حماستهم، وترفع من معنوياتهم ، وتدفعهم الى استعذاب الاستشهاد في الجهاد ، فيقول :

رويدا بني أمي ، رويدا أحبتي ... ويا وطنا سوداءُ قلبي له فدى
أرى خلف مربد السحاب سحابة ... من النور يأبى الله ان يتبددا
بقية مجد من عصور حماسة ... تضج بذكر السيف والضيف والندى
نذود بها عنا الردى وهو زاحف ... يسوق من الافات جندا مجندا
وقد يكسب الخطب النفوس مناعة ... ويضرم ذكر العز ما الذل اخمدا
فهبوا الى التاريخ نهتك حجابه ... ونقطع مع الاجداد عهدا مجددا
لعل لنا في اللوح سطرا نضيفه ... الى صفحات المجد اسمى وامجدا

ويعجب الشاعر من أمر الذين يؤثرون السلامة على الكفاح فينتظرون حتى يمن عليهم المستعمر بالاستقلال ، ولهذا نراه في قصيدة اخرى ينكر هذا الوهم ويقرر ان الاستقلال حق لا هبة ، فيحث قومه على عدم الركون الى وعود المستعمر الكاذب ، فلنستمع اليه في ذلك :

ان ضاع حق .. لم يضع حقانِ ... لك في نجاد السيف حق ثانِ
ما مات حق فتى له كَزند .. له ... كف .. له سيف .. له حدان
فانسف جبال الظالمين به ودع ... لذوي القلانس «خردلَ الايمان»!
خاطب وحوش اوربة بلسانهم ... واذخر لسان الحب للانسان
احسن اليهم بالاساءة .. انما ... ترويض ذي ناب من الاحسان
اين التراثُ ؟ تراث ابطال الحمى؟ ... اين البقيةُ من بني غسان ؟
لا تنكروها .. فالدم العربي قد ... جلَّتْ اصالته عن النكران
ولكم الى الطاغي شكونا أمرنا ... فازداد طغيانا على طغيان
وعدا على وعد ، على وعد ، على ... وعد ، بلا كيل ولا ميزان
لا تركنوا لوعود اكذب أمة ... قامت سياستها على البهتان
فلقد كفى سخريةً واهانة ... ولقد كفى ضحكا على الاذقان !

ثم يراقب الشاعر ما يبيته الاستعمار للعرب بارتكاب اكبر جريمة غدر وخيانة عرفها التاريخ في فلسطين العربية، فينتضي قلمه كالسيف ، ثم يروح يفضح هذه المؤامرات الاستعمارية ويهاجمها ويعبر عن موقف العروبة الثابت في التمسك بكل شبر من اراضيها ، والاستماتة في الدفاع عنه حتى النهاية ، مهما تكن القوى التي تتآمر عليها.

وللشاعر في هذا الميدان جولات تدل على روعة ابائه ونقاء جوهره العربي . يراقب الانجليز يغمضون عيونهم عن هجرة اليهود الى فلسطين ، بل ومبالغة في النكاية بالعرب يحملون اليهود اليها على سفنهم . ويسمع في الوقت ذاته من يبلغ به قصر النظر منا حد التصريح بالعطف على اليهود وايوائهم والانتفاع برساميلهم ، ومعاملتهم بشريعة المسيح . وازاء هذا وذاك تبلغ الثورة في نفس الشاعر مداها فينفجر كالبركان بقصيدة منها :

يهنيك لم تر عيناك الذي فعلتْ ... ذاتُ الاساطيل من اهوالها فينا
فد اهلكتنا على أردنتنا ظمأ ... وأوردتنا المنايا من موانينا ...
أجرت مراكبها مشحونة قذرا ... وافرغتها يهودا في فلسطينا !
فانزلتهم بواديـنا على سعة ... وشردتنا حيارى في بوادينا
حتى أبيح لشذاذ الورى وطنا ... واهله عنه منفيون ناءونا

الى ان يقول :

قال المسيح لنا : حِبوا اعاديكم ... لكنه لم يقل : حبوا الشياطينا
أمَلتمُ الرزق من أزرى الانام يدا ... يا للمصيبة .. هل صرتم مجانينا؟
وهبْ اصبتم .. فانا لا نريد غنى ... من اللصوص المرائينا المرابينا
والله لو داس في بيروت اطهرهم ... لسممت قدماه نبع صنينا !

وتمر ذكرى وعد بلفور بكل ما تحمل في طياتها من نذر فيحمل الشاعر على ذلك الوعد المشؤوم في قصيدة كأنما صيغت كلماتها من الجمر المشتعل ، منها :

الحق منك ومن وعودك اكبرُ ... فاحسب حساب الحق يا متجبرُ
تعد الوعود وتقتضي انجازها ... مهج العباد .. خسئت يا مستعمر!
لو كنت من اهل المكارم لم تكن ... من جيب غيرك محسنا يا بلفر
عِدْ من تشاء بما تشاء فانما ... دعواك خاسرة ووعدك اخسر
فلقد نفوز ونحن أضعف امة ... وتثوب مغلوبا وانت الاقدر
يا مصدر الكذب الذي ما بعده ... كذب .. تعالى الحق عما تنشر
تجني على وطن المسيح مدمرا ... وتذيع انك في البلاد معمر
أو ما « ليوضاس » اللعين وآله ... الا فلسطين الشهيدة مهجر ؟
لكم التجارةُ بالرهينة والربا ... لا ان تبيعوا العالمين وتشتروا
مستعبد الانسان عبدٌ للذى ... ما اجدر الاحرار ان يتحرروا !

ويحدث وقتئذ ان ينشر شاعر يهودي يدعى «رؤبين» قصيدة في جريدة يهودية يهجو فيها العرب ويذمهم ، فينبري شاعرنا للرد عليه وافحامه في ذات القصيدة قائلا:

« رؤبين » تلك يراعة أم حية ... بالحبر تكتب أم بسم تقطرُ ؟
شكرا على المدح الذي اسديته ... ان اللئيم على المذمة يشكر
ترمي الاعارب بالنذالة .. مثلما ... يرمي الكواكب بالنذالة بحتر
عن أي يعقوب ورثت شجاعة ... يا من بمن رضعوا البسالة يسخر؟
أقصى الشجاعة عندكم ان تسلموا ... هربا ، وأعظم بأسكم ان تفدروا
من للايادي البيض في تاريخكم ... والهكم ذاك الاله الاحمر؟
توراتكم ملأى بكل فظيعة ... فعجبت .. كيف بكفرها لا نكفر ؟
لفظتكم الدنيا .. فكيف تخايلت ... أشباحكم .. فهنالك المتضجر !

مصر نحن سياطها لجلودكم ... فالرأي كل الرأي ان تتمصروا
اقلقتم الدنيا بموطنكم .. اما ... من هوة فيها الابالسُ تحشَر ؟

— ٥ —

واذا انتقلنا معه الى ميدان العروبة ، فاننا لا نجد أنفسنا أمام شاعرها الاكبر فحسب ، بل وأمام رائد عربي معاصر فلسف فكرتها وأعطاها مضمونها الصحيح المنبعث من حقيقتها وذاتها .

وقبل ان اتطرق بالحديث الى شعره في ذلك ، أشير الى وطنية العربي ومفهوم العروبة عنده ، فعلى ضوء ذلك نستطيع ان ندرك عمق تجربته وأصالة شعره في هذه الناحية .

عن وطنية العربي يحدثنا القروي بقوله :

« ما كانت وطنية العربي قط اعتداء أثيما ، ولا حقدا لئيما . نشأت رسالة تكبير وتوحيد ، ودعوة تعاون على البر ، ومشت في أحلك العصور، في يمينها قسطاس العدل ، وفي يسارها نبراس الهدى ..

« وما زالت تعطي باختيارها أضعاف ما أخذت بانتصارها حتى ملأت دنيا الناس حكمة وفنا ، وعمرانا ورفاها ، وعادت طيبة الخاطر جليلة الاثر ، مبكية في تاريخ من فارقت ، مشكورة عن أعقاب من حكمت..

« وها هي ذي في صحوها الجديد : نهضة من كبوة ، واصلاح من فساد واستعداد للجهاد ، تأديبا للسفاحين واستردادا للسلب ، وارضاء للاباء ، واطمئنانا الى العزة ..

« فكف" بعد ذا وعفة ، ونسيان للخصومة ، ومصافحة للمغاوب، وعود الى المعروف ، وضرب المثل الاعلى في مكارم الاخلاق .

« تلك روح العروبة ، وهذه تقاليدها : سلمها أمن وايمان وخير عميم ، وحربها شجاعة نادرة ، وفروسية باهرة ، وتقدير للبطولة ، وعفو عند المقدرة ، ورفق بالجرحى ، ورحمة لليتامى ، وتأمين لمن القى السلّم .. حرب اشبه بالمباراة الرياضية منها بالعداء » .

ثم يحدثنا عن العروبة والبرامج والاحزاب فيقول :

« ويسألكم الشعوبيون هازئين : ما العروبة ؟ وما برامج العروبة ؟

« قولوا : العروبة شعار الامة العربية ، وروحها ، وشمس اوطانها، ومهوى افئدتها ، وملتقى ما تعدد من اقاليمها ولهجاتها .

« العروبة دين الامة الشامل ، والاحزاب طوائفها ، والدين ايمان ومحبة ، وتعاون وخير عميم ، والطوائف طقوس وشقاق ، وشر مستطير..

« وبرنامج العروبة ليس أبجدية مواد وبنود ، بل هو معان تعمر بها القلوب ، ومناقب حفلت بها سير أبطالكم في العصور ، وبدون هذه المعاني ، وهذه المناقب ، باطل كل مجلس ، وكل حزب وكل مبادىء تشغل الطروس ...

« العروبة روح حاتم ومعن والسموأل في سلوك كل نبيل عربي، وروح عنترة وطَرَفة وامرىء القيس والاخطل والمتنبي في خيال كل شاعر عربي ، وروح خالد وأسامة وطارق وصلاح الدين ويوسف العظمة على سيف كل جندي عربي ، وروح علي وأبي بكر وعمر على قلب كل متسلط عربي.

« العروبة ليست حوضا للسباحة في ناد هنا ، وناد هناك ، ونادٍ

صدر اليوم :

في سبيل البعث

تأليف الاستاذ ميشيل عفلق

طبعة جديدة موسعة

دار الطليعة ــ بيروت ص.ب ١٨١٣

هنالك ، بل هي بحر يضم ارخبيل اقطارنا ، وتجري فيه رياح تضامننا، كما تشتهي سفن امانينا .

« العروبة ان يشعر اللبناني ان له زحلة في الطائف ، والعراقي ان له فراتا في النيل .

« العروبة دم ذكي يجري في عروق جسد واحد ، اعضاؤه الاقطار العربية ، وكل ما يعوق دورة هذا الدم يعرض الجسد كله للاخطار.

« ويقولون : فشلت العروبة ...

« قولوا : بل عُوقت عن النصر الى حين ، ثم كان المؤتمرون بها هم الفاشلين . من سار على نور العروبة لم يضل ، ومن عمل بوحيها لم يُضر .

« باسفنجة العروبة يُمسح الضغن ، وبميثاقها تزول القطيعة، وعلى شاطىء وحدتها ينكسر الاستعمار ، وفي ظل علمها تغمض عين الامين، وفي ميادينها الواسعة تعم الحركة، وتثمر المواهب، وينشد اليسر والرخاء.

كل حزب لا يولد من صلبها فهو دخيل عليها متربص بها. وهي كالبحر لا يشقه اسفين ، تضرب فيه العمود فيشغل فيه بقدر حجمه، وهو به محيط فما ان تنزعه حتى يتعانق الماء ويعود جسدا واحدا، وروحا واحدة كما كان » .

وعن العروبة والاشتراكية يحدثنا الشاعر بقوله :

« لا خوف على العروبة من أي نظام اشتراكي ، لان كل ما ينصف العامة من الخاصة ، ويأخذ حق الضعيف من القوي يلائم سجيتها ويرضيْ دينها .

« وان في روحانيتها العميقة جوهرا علويا يعصمها من الانحدار الى مادية أي واحد من النظامين اللذين يتجاذبانها.

« وقد سبقت العروبة كليهما في ضرب المثل الاعلى للديمقراطية الحقة فهي لا يعوزها ما جد في دساتير الناس بقدر ما يعوزها حكومة منها قوية تحترم وتطبق دستورها هي ..

« قبل الثورة الفرنسية ، وقبل شريعة تحرير العبيد الاسمية في امريكا بأكثر من الف سنة جهر شارعنا العربي الاعظم بمبدأ الحرية والاخاء والمساواة ، فجعل فك الرقاب كفارة عن الذنوب ، وزلفى الى الله . وقال في حديثه : « الانسان اخو الانسان حب أم كره » .

« فبقليل من الاجتهاد نتلافى التصادم مع احدث النظم الاقتصادية اذ نعلو بما نسميه صدقة ومترادفاتها من دركة هذه الاسماء الزارية بالقيم الى اسمه العادل النبيل ، الا وهو حق المواطن على اخيه. فمبدأ التعاون يقضي بان يكون كلنا خادما ، وكلنا مخدوما . وما السيادة العليا الا لمجموع الامة .. فلا يخوفنا الاستعمار مما لا يخيف غير لصوصه وقرصانه » .

وأخيرا يعرّج على لغة العروبة فيقول :

« هي هذه اللغة الخصبة الخلاقة المطواع . اللغة التي اتسعت لرسالة الرحمن . بها التفاهم ، وبها الالفة ، وبها الوحدة ، فبها القوة، فالهيبة ، فالسلم ، فالنعيم المقيم ...

« كل عادل الى العامية عنها ، مبشر بها دونها ، انما هو كافر بها وبكم ايها العرب ، دساس عليها وعليكم ، كائد لها ولكم ، عامل على قتلها وقتلكم فعلموا القرآن والحديث ونهج البلاغة في كل مدارسكم وكل جامعاتكم ، لتقوّم بالفصحى ألسنتكم ، وتتقوى ملكاتكم ، ويعلو نفسكم، وتزخر صدوركم بالحكمة ، وتشرق طروسكم بساحر البيان ... ».

* * *

تلك هي العروبة التي بلور الشاعر القروي مفهومها، وأوضح دستورها ومنهاجها ... فكيف انعكست شعرا في مخيلته وعلى شباة قلمه ؟

يقول المثل العربي : « كل يغني على ليلاه » .. وليلى القروي التي عشقها وافتتن بها منذ خفق فؤاده بالحب حتى اليوم هي العروبة .

فهي حبه ، وهي رسالته في الحياة ، وهي حلمه الاكبر الذي يتمنى ان يراه يوما ما حقيقة مجسدة. ومن ثم وقف حياته عليها ، وراح يعايشها ويرافقها يقظان نائما، يرى صورتها في كل صورة ، ويسمع صوتها في كل صوت، ويدلف كلما شاء الى محرابها يناجيها ويغني لها وبها.

وهو في كل ذلك يتخذ من اغراض الشعر عامة، ومن احداث الوطن ، ومن تجاربه الذاتية موضوعا ووعاء للفكرة الاساسية المسيطرة عليه : فكرة البعث العربي ، والوحدة العربية ، والنهضة الشاملة .

يُدعى مثلا الى عرس صديق ، فهل يهنىء العروسين على عادة الناس ؟ كلا .. انه يتخذ من هذه المناسبة منبرا للحديث عن سر الزواج كما يراه هو ، فيقول مخاطبا العروس .

سلمى عليك امام شعبك واجب ... هل انت يا سلمى على استعداد؟
سرّ الزواج أدق عند الحر من ... أن يخلد الاجداد في الاحفاد
لا خير في جيل حكت ابناؤه ... حلقات سلسلة من الاصفاد
ربّي البنين على فدى اوطانهم ... يوم الجهاد ... اذا دُعوا لجهاد
طوبى لهاتيك التي من جوفها ... سيحرر الوطنَ المسيحُ الفادي

أجل ، طوبى للامهات العربيات اللائي انجبن وينجبن المسيح الفادي ؟

وتتالف في « صنبول » جمعية اتحاد الشبيبة العربية فماذا عساه ان يقول في تحيتها غير قوله :

اتحاد الشبيبة العربيه ... أيمن اسم تُدعى به جمعيهْ
تجمع الناطقين بالضاد حزبا ... واحدا قاضيا على الحزبيه
بدّدت شملنا منازعُ شتى ... بين دينية واقليميه
فانضوينا تحت اللواء الذي ... يجعل منا سبيكة قوميه
ويردُّ القلوب قلبا كبيرا ... خافقا بالمحبة الوطنيه

ويخطر له مرة فيسدي النصيحة الى المسلمين حتى يتخذوا من جوامعهم كذلك جامعات للعلم فيقول :

يا مسلمون : نصيحة من مخلص ... يتلو محامدكم بكل حديثِ
رأيي بجامعكم كرأي نبيكم ... كم آية منه لكم وحديث
لا خير فيه لمسلم الا اذا ... ألحقتموه علامة التانيث

وتتودد اليه فتاة انجليزية . بينما المعارك الدموية

صدر حديثا :

الجهاد الافضل

تأليف عمار اوزيغان
وزير الاصلاح الزراعي
في الجمهورية الجزائرية

اول دراسة تكتب بعد الاستقلال بقلم احد قواد جيش التحرير الجزائري

دار الطليعة ـ بيروت ص.ب ١٨١٣

دائرة الرحى بين قومه وبين الاستعمار الانجليزي. فبماذا يقابل هذا الحب الانجليزي الذي يحاول التسلل الى قلبه؟ يقابله بهذه الابيات الصارمة المؤثرة :

ولـــو لم تكـوني فرنجيـةً لكنتِ سعـادي قبـل سعـادْ
ولكنـني عـربيُّ المنـى عربي الهـوى ، عـربي الفؤاد
لعمرك يا « مـود » لـولا ذووك لما ميـز الحبُّ بـين العبـاد
ولا أكرهوا شـاعرا ان يقـول هذي البـلادُ ، وهـذي البلاد
فهم اوغروا بالعَداء العـدور وهم اضرموا النـار تحت الرماد
فلا تعذُلي شاعـرا زاهـدا وكم هام بالحب في كـل واد
فـاني حـرام عليَّ هـواك وفي وطني صيحـةٌ للجهـاد

ويقبل عيد الاضحى فيرى فيه مناسبة لاذكاء روح الوطنية ، وابراز معنى الوحدة ، والاشادة بالتضحية في سبيل العروبة . فلنستمع اليه :

ليس للاسـلام او للعيسويـهْ ما بهـذا العيـد للديـن مزيهْ
نحن والاسلامُ في الاضحى سـواءْ قد تقاسمنـا الضحايـا بالسويـه
عدّلوا المعنى قليـلا يلتئـمْ شملنا تحـت لـواء العربيـه
ليس مَن ضحى بكبشيْ غنـم مثل من ضحـى بنفس بشريه
أين من أدى زكاة .. مـن فتـى جـاد لـلامة بالروح الزكيـه ؟
رحمة الله عـلى كـل فتـى عربي راح للعُـرب ضحيـه
وليعدْ فينـا وفي أعقـابنا عيدَ ايمـان بديـن الوطنيـه

ويقضي أياما في أحد مصايف البرازيل ، ويستهويه جمال المكان فيروح يصفه في قصيدة من قصائده الطوال، ولكن سرعان ما يتعرض له واقع بلاده فينسى المصيـف وجماله وينطلق صائحا :

فقل لشعـب رام أن يستقـل ليس وراء اليـأس غيرُ الفشلْ
وانمـا ينتقـل هـذا الجبـل بالهمة القعساء ... لا بالكسـل
والعزم.. لا ايمان أهل الخمول

وقل لمن ضلوا سبيـل الهـدى وضاع فيهم كـل نصح سـدى
يا وطني : منك نفضتْ اليـدا فمـن يحاول عنك دفـع الردى
حاول أمرا دونه المستحيل
لا.. لا.. ستحيا رغم أنف الزمن بل أنت حي رغـم هـذا الكفنْ
ما دام حُرٌ واحـد في الوطـن فهو بهـذا الحر حرٌ ... وان
عاش به مليونُ عبد ذليل!

وفي عام ١٩٣٠ تأسست كتلة الدفاع الوطني في « صنبول » فارضة عشرة قروش برازيلية على كل مهاجر في سبيل استقلال سوريا ، فجال الشاعر ينشيء الفروع، متوسلا ببيع بعض السلع للقيام بنفقاته الخاصة. وكان ينوي التنقل من أجل هذه الغاية في سائر الولايات الامريكية لو لم يضطره المرض الى القفول.

وأشد ما أمضه ، وربما أمرضه من هذه التجربة ان يتبرع البعض لا من اجل استقلال وطنه ، ولكن اكراما للشاعر . ولهذا يعبر القروي عن ذلك في أبيات لا أدري كيف أصفها ! وهذا ما قال :

أفضـول" يا تُرى أم غيـرة أوقرتْ ظهري وهـدت منكبيا
انحلت علةُ غيري جسـدي وأسالت كبدي مـن مقلتيا
يا بني أميَ .. هـل كلفتكم حملَ عبء لم يهشم ساعديا ؟
طالمـا سابـق عسري يسرَكم حين لا أمـلك الا أصغريا !
ان وهبتم فضـل مـال فأنا نازف ما في عـروقي ويديا
ولكم بـاذلٍ فلس يـدَّعي أنـه لولاي لا يبـذل شيا
أنا راض .. حاسب" كـلَّ يد تنفـع الامـة مسـداة اليا
سايروني .. واخـدموا أوطانكم واحسبوا المنَّـة يا قـومي عليا

وفي الارجنتين تتضافر بعض الاحزاب المتناقضـة عليه ، ويتعاون بعض أغنياء هذا المهجر وادبائه الى النيل من أدبه ووطنيته ، ولكنه يقابل عدوانهم بالحب والتغني بعروبته وعروبة لبنان فيقول :

جبـلي الذي عِزةُ العروبة عزه رغم التفرنج من عَقوق جنانِ
أيحول عـن حب العروبة مـن حمى أمَّ اللغات حمايـة القـرآن ؟
أيخون عهدَ العُرْب لبنان" ومـن شعرائه «فرحات» و «البستاني»؟
انا لست الا واحـدا مـن معشـر حُر يمتُّ بـه ... الى غسـان
زعموا بـلاء الشرق من أديانـه ومرادهم دين" مـن الاديـان!
متعصبون ويدعـون تساهـلا دعوى الذئاب وداعـة الحملان؟
من ينبيء الملأ الـذين أحبهـم فيكافئـون الحـب بالعـدوان
أني على ديـن العـروبة واقف قلبي على سبحاتها ولسـاني (١)
انجيلي الحـب المقيم لاهلهـا والذود عـن حرماتهـا فرقـاني
أرضيتُ احمدَ والمسيح بغـورتي وحماستي ، وتسـامحي ، وحناني
يا مسلمون ويا نصـارى .. دينكم دين العروبة .. واحـد" لا اثنان

ويطول انتظاره لاشراق شمس العروبة التي يتمنى أن يراها في حياته وقد عم نورها ارجاء الوطن العربي . ويزداد به الشوق والحنين الى مطلع هذه الشمس، فلا يملك الا ان يتوجه اليها بالمناجاة قائلا :

شمسَ العروبة..عيلصبرُ المجتلي شقي حجابك قبل شق الرمس لي
وتداركي مستعجلا .. لو لم يخف سبْقَ الحِمام اليه .. لم يتعجل
أأرى نهارك قبل اغماض الـردى جفنيَّ في ليل الحفـير الأليل ؟
اني لمحت سناك في غسـق الدجا رغم العصابة والحجـاب المسدل
فلقد يرى بالروح شاعرُ أمـة ما لا يرى غيرُ النبي المرسـل
وأشعة الايمان تبتـدر المنـى ونرد للمكفوف عينيْ اجـدل
مَن هام في حب الغريب فلست عن حب الأخ العـربي بالمتحـول
واعزةٌ من دنيـا الاعزة كلّهـا جاري القريب، واخوتي في المنزل

(١) السبحات : جمع السبحة ـ بضم السين ـ الدعاء والصلاة النافلة. وسبحات العروبة انوارها او ما يسبح به من دلائل عظمتها .

صدر حديثا

تراثنا العربي المعاصر

دراسات ونقد

للاستاذ نجيب مسعد

في اللغة والشعر والادب والقصة

جبران ـ نعيمة ـ ابو ماضي ـ الحكيم

عبد القدوس ـ السباعي ـ شوقي

حافظ ـ مطران ـ تيمور ـ طه حسين

منشورات المكتبة اللبنانية ـ بيروت

وتدعوه الجمعية الخيرية الاسلامية بمدينة «صنبول» في عيد الفطر ، فيطلع على المحتفلين بقصيدة تلتهب حماسة ووطنية ، وفيها يصرح بالعيد الذي يصبو اليه قائلا :

صياما الى ان يفطر السيف بالدم ... وصمتا الى ان يصدح الحق يا فمي
أفطر" واحرار الحمى في مجاعة ... وعيد وابطال الجهاد .. بمأتم ؟
بلادك قدمها على كل ملة ... ومن اجلها أفطر° ، ومن اجلها صُم
فما مس هذا الفطر اكباد ظالم ... ولا هز هذا الفطر ارواح نوم
لقد صام هندي فجوع امة ... فهل ضار علجا صوم مليون مسلم؟
تجشم عن اوطانه صوم عامد ... فجشم اوطان العدى صوم مرغم؟
وخلى بلاد الظالمين بلاده ... تضيق بجيش العاطلين العرمرم
وراحت ملوك المال تشكو ببابه ... من الفقر .. ؟ يا للظالم المتظلم
أكرِّم هذا العيد تكريم شاعر ... يتيه بآيات النبي المعظم
ولكنني اصبو الى عيد امة ... محررة الاعناق من رق اعجمي
الى علم من نسج عيسى واحمد ... و «آمنة» في ظله اختُ مريم
هبوني عيدا يجعل العُرب امة ... وسيروا بجثماني على دين برهم
فقد مزقت هذي المذاهبُ شملنا ... وقد حطمتنا بين ناب ومَنسِم
سلام" على كفر يوحّد بيننا ... واهلا وسهلا بعده بجهنم!

ثم تترامى اليه اخيرا فيمغتربه بشائر اليقظة العربية والتحرر العربي ، وتبدو له في الافق طلائع الشمس التي عيل صبره ترقبا لها ، فاذا هو من شدة النشوة والحبور ينشد مترنما :

اني لصداح العروبة طاب لي ... شدوي على سرواتها وتنقلي
ووقفت الحاني على المجد الذي ... أبلى الزمان مع العظام وما بلي
سنعيد صرح العز طودا شامخا ... ما احقر الماضي لدى المستقبل !
من ذا يشاكل بين قلب خافق ... بدم الحياة وبين رمة هيكل (1)
اني لاذكر بالترحم والدي ... والقلب يرقص حول طفلي المُحْوِل

ثم .. ثم تزداد الشمس اشراقا ، وتنقاب اليقظة بعثا عربيا شاملا ، بعثا ينحسر امامه مد الاستعمار، وتشق فيه البلاد العربية بالكفاح سبيلها الى الحرية والاستقلال واحدة اثر اخرى ..

ويرى شاعر العروبة طلائع المعجزة اخيرا ، ويعلم ان جهاده القومي بالكلمة المؤمنة الملهمة لم يكن ابدا باطلا، فتفيض عيناه غبطة وسرورا ويحمد الظالم قائلا :

لله دمع سروري يوم هبتهم ... من ضجعة الذل كالالغام تنفجر
ثار العراق ومصر والشام لهم ... واستصرخ الثقلين البدو والحضر(2)
فالحمد للظلم .. ان الظلم لقنهم ... ان العروبة فيها .. العز والظفر

— ٦ —

ذلك هو صناجة العروبة ، وشاعر الامة ..

وتلك جولة سريعة في شعره القومي ، تظهرنا على موقفه من الاستعمار ، وكيف كافحه في شجاعة العربي الذي فطر على حب الحرية ومقت العبودية . كما تظهرنا على شعوره العروبي الاصيل ، واتجاهه الوحدوي السباق، والدعوة الدائبة لذلك، عن ايمان واقتناع دون يأس او ملل.

ذلك هو الشاعر القروي ..

صداح العروبة الحفي بوطنه وامته ، والذي ضرب لنا خير الامثال على اريحية العربي ، تلك التي قوامها البذل والسخاء والفداء ..

واذا كان للعرب قاطبة ان يفخروا بأدبه وشعره وجهاده الوطني مرة ، فان للبنان ، وطنه الاول ، ان يفخر به اكثر من مرة ..

لم يكن صعبا على من اوتي مثل مواهبه ونشاطه

(1) الرمة : ما بلي من العظام وجمعه رمم ورمام .

(2) الثقلان : الانس والجن .

منشورات تاريخية

صادرة عن المطبعة الكاثوليكية :

١ ــ **تاريخ مختصر الدول ، لابن العبري :** وقف على طبعه ووضع حواشيه انطون صالحاني (طبعة ثانية).

٢ ــ **تكملة تاريخ الطبري ، لمحمد بن عبد الملك الهمداني :** قدم له وحققه ووضع فهارسه البرت يوسف كنعان (طبعة ثانية)

٣ ــ **مقدمة في تاريخ صدر الاسلام :** بقلم الدكتور عبد العزيز الدوري (طبعة ثانية)

٤ ــ **صوت من لبنان :** مذكرات اسعد خياط نقلها عن الانكليزية ميخائيل صوايا

توزيع : المكتبة الشرقية
ساحة النجمة ــ بيروت

مكتبة انطوان

فرع شارع الامير بشير

من المنشورات العربية :

الامير الصغير	سانت اكزوبري
اوجيني غراندیه	هـ. د. بلزاك
المولن الكبير	الان فورنييه
تريستان وايزولت	بيديه
انطيغونا	جان انوي
طيران الليل	سانت اكزوبري

* * *

أوراق لبنانية	داود عمون
الغزالي وابن رشد	مواضيع فلسفية
	محللة للاستاذ نجيب مخول
اغنار	موريس عواد
الخط العربي ــ مشكلته	انيس فريحه

واخلاقه ان يصيب الغنى والثراء في مهجره لو شاء. ولكننا نراه ، وقد حمل رسالة العروبة ، يعاف كنوز الارض بعد ان عرف قيمة الكنز الذي يحمله . وفي ذلك يقول :

بَعُدَتْ همتي فعفت كنوز الا رض لما عرفت قيمة كنزي
لا ابالي شبعت ام جعت والفن شرابي وعزة النفس خبزي
ذل قومي ذلي .. وان كنت اغنى الناس طرا .. وعز قومي عزي

ذلك هو الشاعر الذي كان يدوي شعره في الخافقين، فينصب على المستعمر لهبا وناراً، وينزل على قلوب مجاهدي العرب الاحرار بردا وسلاما .

تناوبته العلل عام ١٩٥٠ فأكرهته على أن يبيع من ضنائنه عوده وبعض كتبه النفيسة ليستعين بثمنها على العلاج .

وتبرع بعض كرام اصدقائه وعارفي فضله بما تبلغ قيمته ثلاثين الف ليرة لبنانية ، بغية شراء بيت له في « صنبول » ولكن الشاعر الابي الوفي رفض قبولها، واعلن شكره واعتذاره ، وايثاره قبراً في وطنه على قصر في غربته ، ورجا رد المال الى المتبرعين ...!

ولكن هذا الرجاء لم يقبل من أولئك الاصدقاء الكرام، فقد حولوا ما جمعوا من المال الى مشروع طبع ديوانه، محققين له ــ كما يقول ــ أعز الاماني الشخصية الباقية له في هذه الحياة .

* * *

ثم نقرأ في ديوانه الكبير فنجده عامرا بحب لبنان. وكأن هجرته التي طال أمدها نصف قرن تقريبا لم تزده الا وفاء للبنان ، وتعلقا به وحنينا اليه. وهل هناك وفاء أنبل ، وتعلق أشد ، وحنين أشجى مما يطالعنا به في قوله:

ولي كل يوم في الحمى الفُ رجعة على الف فلك في مرافئه تُرسي
يسير معي لبنان .. أنى توجهت ركابيَ ، لو يغني الخيال عن الحس؟

أو في قوله :

هنيئا لمن تمتّ أمانيه وأعتلى سفينا الى ميناء بيروت تمخرُ
ترى عينه .. ما لا أرى من جمالها فيا ليت عيني عينه حين ينظرُ
وأكبر ظني انني غير عائد ... ولكنْ «عسى» يحلو لديها التصبر!

أو في قوله :

بربادتي .. مغناي .. مرتبعي فردوسُ أحلامي فتى وصبي
كلُّ القرى آبتْ أحبتها وحبيبها القروي ... لم يؤب ؟

بلى ! قد شاء الله اخيرا فآب القروي الى البربارة، قريته الحبيبة لتفخر به ابنا عربيا بارا ، ويسعد هو في كنفها وظلالها كما كان من قبل .

أجل عاد القروي أخيرا الى وطنه ، ولا شيء معه من حصاد نصف قرن الا كنزه الخالد ، واعني به ديوانه ، او ديوان العرب في العصر الحديث .. عاد ليرى ثمار جهاده بقلمه تستحيل الى تاريخ مجيد للعروبة ، يصنعه ابناؤها المؤمنون بها ايمانه ، عاد ليستقبله الوطن الاكبر في كل مكان بمظاهر الحفاوة والاجلال والاكرام ، وله في كل قلب عروبي تمثال من الحب والاعتزاز والفخار ...!

* * *

وبعد فلا املك في الختام الا ان احني الرأس اجلالا وتحية ، امام جهاد صناجة العرب وشاعر الامة. واني لأستعير من تحية رائد العروبة الملهم لابطال الجزائر يوم خروجهم من معتقلهم تحية لشاعر العروبة ، فأقول له ما قال الرئيس جمال عبد الناصر « ان تضحياتكم العظيمة من اجل الحرية ، كانت تكريما للمثل الاعلى الذي تمثلته الامة العربية في ضميرها وحسها ، لما ينبغي ان يكون عليه الابطال من ابنائنا » .

عبد العزيز عتيق

دار الاداب تقدم :

محاورات في السياسة

بقلم جان بول سارتر ، دافيد روسيه ، جيرار روزنتال

ترجمة جورج طرابيشي

مناقشات هامة تحتاج اليها الطليعة العربية في بحثها عن التخطيط السياسي والاقتصادي والاجتماعي الواجب اتباعه ، وفي محاولة تكوين الاحزاب التقدمية والتجمعات الثورية .

صدر حديثا — الثمن ليرتان لبنانيتان

مغامرة الإنسان

بقلم سيمون دو بوفوار

ترجمة جورج طرابيشي

الكتاب الاول الذي كشف عن عبقرية الكاتبة الوجودية العالمية . وفيه دراسة عميقة عن اوضاع الانسان في مغامرة الحياة .

صدر حديثا — ١٥٠ قرشا لبنانيا